التنشـــــئة القـــرآنيــة
وأثرها في بناء الفرد والمجتمع

إعـــداد

أحمد بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح

أستاذ مساعد بقسم القراءات

في كلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى

ملخص البحث

يتناول البحث أثر القرآن الكريم على نشأة حملته، وأثره على حياتهم، وأن أثر القرآن لن يظهر أثره على حملته إلا حين يمتثلون تعاليمه وتوجيهاته، ويسيرون على خطاه، ويتتبعون هداياتـــه، ويتـــأدبون بآدابـــه وأخلاقه، فليس القرآن آيات تتلى فحسب؛ ولكنها تعاليم تستقى، وآداب تحتذى، ولذلك ركز البحث على هذا الجانب، فبدأت البحث ببيان طريقة النبي صلى عليه وسلم في تعليم القرآن الكريم لأصحابه، وكيف كان يعلمهم كتاب الله تعالى، فلم يكن يغلب جانب الحفظ وتصحيح التلاوة على جانب فهم الآية، والعمل بهـــا، وتلك هي الطريقة المثلى في تعلم كتاب الله تعالى، ولما تولى تعليم القرآن الكريم أصحاب النبي صلى الله عليـــه وسلم ساروا على منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليم كتاب ربهم، واستمروا على ذلك حتى بَعُـــدَ العهـــد، فتغير أسلوب تعليم القرآن الكريم قليلاً، فأصبح الطالب يتم حفظ كتاب الله تعالى ثم يثني بدراسته وفهمه، ثم انتقل البحث للحديث عن أثر تلك الطريقة على حفظة القرآن الكريم، وما لها من إيجابيات رائعة على الفـــرد والمجتمع، حيث كان له أثره في تقويم السلوك، والبناء العلمي لحفظة القرآن الكريم، وبعد بيان الأثر الواضـــح للقرآن الكريم على حفظته سلوكياً وعلمياً، تحدث البحث عن أثر حفظة القرآن في بناء المجتمع المسلم، ومـــا لحلقات تحفيظ القرآن الكريم من آثار إيجابية على المجتمع في حفظه وإصـــلاحه، ثم خـــتم البحـــث بالنتـــائج والتوصيات، وأعقب ذلك الخاتمة والفهارس البيانية.

أبرز النتائج والتوصيات:

إن من أهم وأبرز التوصيات التي أخلص إليها في نهاية هذا البحث ما يلي:

١. تتبع خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعليم كتاب الله تعالى، ومراعاة مراحل العمر المختلفة.

٢. أقترح وضع خطة لحفظ القرآن تقوم على مراعاة مراحل عمر الطالب، فالصغير الذي لم يتجاوز العاشرة يُكتفى بتحفيظه القرآن الكريم فقط، فإذا تجاوز سن العاشرة شرحت له بعض الآيات شرحاً مجملاً، فإذا تجاوز سن الخامسة عشرة فسرت له الآيات دون التعمق فيها، ثم إذا تجاوز العشرين سنة كان ملزماً باستظهار معنى الآيات والغوص في دلالاتها ومضمونها.

٣. قيام الجمعيات الخيرية بدورها الكبير في تعليم كتاب الله تعالى.

٤. الحرص على وضع منهجية جديدة يراعى فيها الجمع بين حفظ القرآن وفهم معانيه.

٥. إلزام الجمعيات الخيرية لمدرسيها شرح آيات كتاب الله تعالى للطلاب.

٦. عقد دورات مكثفة في تفسير القرآن الكريم لمدرسي القرآن الكريم.

٧. أن يكون الهدف الأسمى لمدرسي القرآن الحفظ والفهم معا، ثم التطبيق والاتباع.

٨. النتائج المثلى لحفظ القرآن الكريم لا تحصل إلا باجتماع الأمرين الحفظ والفهم.

٩. إذا كان الهدف الذي ننشده هو إنشاء جيل يعمل بكتاب الله تعالى، فلن يكون إلا بحفظ وفهم القرآن الكريم.

***

التنشئة القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع

ويتضمن البحث تمهيداً ومقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره، ثم فصول البحث على النحو التالي:

الفصل الأول: منهج السلف في حفظ القرآن الكريم

المبحث الأول: منهج الصحابة والتابعين في حفظ للقرآن.

المبحث الثاني: منهج من بعدهم في حفظ القرآن.

الفصل الثاني : أثر القرآن على حفظته وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر القرآن في تقويم السلوك.

المبحث الثاني: أثر القرآن في البناء العلمي.

الفصل الثالث: دور حفظة القرآن في بناء المجتمع.

المبحث الأول: حفظة القرآن هم رسل النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الناس.

المبحث الثاني: الدور الذي تقوم به حلقات تحفظ القرآن الكريم في بناء المجتمع وإصلاحه.

أبرز النتائج والتوصيات.

الخاتمة.

الفهارس.

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سـيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشـهد ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسـلم تسليماً كثيراً.

أما بعد... فإن القرآن الكريم هو أصل الشريعة وفيه تجتمع تعاليمها، ومنه تتفـرع علومها، ومن هنا كان لابد مِنْ حفظه وفَهْمه والعمل به، ولن يؤتي حفظ القرآن ثماره اليانعة إلا بفهم معانيه، ولن يحوز المسلم فضل كتاب الله تعالى إلا بامتثال شرع الله، وباجتمـاع هـذه الجوانب تكتمل الصورة الصحيحة لحفظ كتاب الله تعالى، ومن خلال هذا الأسـلوب القـويم السليم في حفظ القرآن الكريم ينشأ "جيل قرآني" متمسك بكتاب الله تعالى، حافظ له، عامـل به، يقيم حدوده كما يقيم حروفه، ممتثلاً أخلاقه، متبعاً هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم في امتثاله لكتاب الله تعالى، ولذلك لما سئلت عائـشة رضـي الله عنـها عـن خلقـه؛ قالـت للسائل:"ألست تقرأ القرآن؟" فقال السائل: بلى، فقالت:"فإن خلق نبي الله صـلى الله عليـه وسلم كان القرآن"(١)، فإذا امتثلت الأمة تعاليم القرآن، وجعلته نبراساً لهـا حماهـا الله مـن الضلال والخروج عن نهج الهدى والرشاد، وحينئذ لن يكونوا ممن يقرؤون القرآن بصوت ندي جميل لكنه لا يجاوز تراقيهم، عن حكيم بن جابر قال: قال: حذيفة رضي الله عنـه:"إن أقـرأ الناس للقرآن منافق يقرؤه لا يترك منه واواً ولا ألفاً يلفته(٢) بلسانه كما تلفت البقرة الخـلاء بلسانها، لا يجاوز ترقوته"(٣)، قال معاوية رضي الله عنه:"إن أغرَّ الضلالة الرجل يقرأ القرآن لا يفقه فيه فيعلمه الصبي والمرأة والعبد فيجادلون به أهل العلم"(٤)، وروى عمرو بن قيس المُلاَّئي عن الحسن قال:"تعلم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قبل وجهه، لا يدرون ما تأويله"(٥)، فحفْظُ الحروف دون فهم هدايتها ربما يكون بداية ضلال وغي، ومجرد حفظ حروفه لا يحميـه من الخروج عن الهدى إلى الضلال، وهو مصداق قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة"(٦)، بل لا يحميهم حفظ الحروف فقط من أن ترد عليهم الشبه المخرجة عن الدين، فمـن حفـظ القرآن وجهل موقع السنة بالنسبة للقرآن لم يشعر بأهميتها، فلم ينظر إليها، ولم يأخذ بها، ولربما

جعل السنة خلفه ظهرياً، عن أبي رافع وغيره رَفَعَهُ "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه أمرٌ مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه" [٧]، روي عن الحسن:"قد قرأ القرآن عبيدٌ وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده"[٨]، وقال الحسن البصري (رحمه الله):"والله ما تَدَبُّرُهُ بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن، ما يُرى له القرآن في خلق ولا عمل"[٩]، فلابد من حماية حافظ القرآن الكريم من الانحراف بفهم معانيه والعمل به.

وخلاصة القول أن التربية السليمة للجيل على القرآن الكريم حفظاً وفهماً وعملاً هي التربية الصحيحة التي تؤتي ثمارها اليانعة، وتحمي الجيل من مضلات الفتن، بل هي الحبل المتين الذي إن تمسك به الجيل قام قياماً رشيداً، ونشأ نشأة صحيحة سليمة من الضلال والانحراف الفكري، فخير تربيةٍ للجيل تنشئته على تعاليم القرآن الكريم، ومن هنا نشأة فكرة هذه البحث الذي يقوم على إعادة النظر في طريقة تدريس القرآن الكريم، وبيان أهمية الجمع بين حفظ حروفه وفهم معانيه ومن ثَمَّ إقامة حدوده، والجمع بين تصحيح قراءته وبيان معانيه، وبذلك نستطيع بناء "جيل قرآني" يأخذ القرآن علماً وعملاً.

التمهيـــــد:

وتتضمن الجوانب التالية:

أولاً: أهمية الموضوع:

تبرز أهمية موضوع تربية الجيل التربية الصحيحة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتلك هي التربية النافعة للجيل في الدنيا والآخرة، بـل هـي التربيـة الصالحة لكل مجتمع مسلم، ومن واقع معاناة المجتمعات الإسلامية من أزمة التربيـة الرشـيدة الصحيحة، التي ترتقي بالفرد ليكون صالحاً في نفسه، مصلحاً لمجتمعه، فلابد من تربية هذا الجيل على خطى ذلك الجيل الذي رباه المصطفى صلى الله عليه وسلم، تربية تحمـل الفـرد علـى التمسك بكتاب الله تعالى، وتُقَوِّم سلوكه على تلك التعاليم والأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها، فيربى على ذلك الأسلوب من نعومة أظفاره، ليكون أكثر تقبلاً وتمسكاً، وليعتاد على الفضائل في صغره، وتنمو معه، فيتشربها جسده، وتعتادها جوارحه، وقد روى البيهقي بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من تعلـم القـرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه"، وفي رواية أخرى:"من تعلم القرآن وهو فتى السن، أخلطه الله بلحمه ودمه"(١٠)، لذا كان لابد من البدء بتربية الناشئة على كتاب الله تعالى لإعداد "جيل قرآني" يتسم بالقرآن قولاً وعملاً وسلوكاً، وقد عُلِمَ أن التربية في الصبا أكثـر تمكنـاً مـن نفوسهم، وأطول بقاء وامتزاجاً في أخلاقهم.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع:

إن من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع ما يلي:

١. أولاً: ضعف التربية السليمة الصحيحة؛ في ظل إعجاب الكـثير بأسـاليب التربيـة الغربية.
٢. ثانياً: اكتفاء الجهات القائمة على تعليم القرآن الكريم بحفظ الطالب للقرآن فحسب، فلا يُنظر إلى فهم الطالب معنى ما يحفظ؛ لاسيما مع الطلاب الذين تهيـأت عقـولهم لفهم كتاب الله تعالى.
٣. ثالثاً: اختلاف أساليب التربية، وتعدد طرقها، وكل منهج يدعي أنه الصواب.

٤. رابعاً: قد يكون الهدف في التربية صحيحاً؛ ولكن المشكلة تكمن في السبل الموصلة إلى ذلك الهدف المنشود.

٥. خامساً: ضعف الأخذ بكتاب الله تعالى والتمسك بتعاليمه والزهد فيها.

الفصل الأول
منهج السلف في حفظ القرآن الكريم
المبحث الأول
منهج الصحابة والتابعين في حفظ للقرآن:

إن المتأمل للجيل الذي تلقى القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، يلاحظ أن الصحابة الذين تلقوه عليه كانوا أصنافاً: صغارٌ دون سن البلوغ، وشباب ممتلئ قوة وحيوية، وكبار وشيوخ، وكان لكل صنف منهم أسلوبه في تلقيه للقرآن الكريم، وللمعلم الأول محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الأسلوب الفريد في تلقين كل صنف القرآن الكريم بالطريقة المناسبة لقدراته وفهمه.

أمَّا صغار الصحابة:- وأعني بهم من لم يبلغوا الحلم – فقد كانوا يُلقنون القرآن الكريم، ليحفظوه ويتقنوه، وقد قيل الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر، ومن أبرز أولئك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد أتمَّ حفظ حزب المفصل وهو ابن عشر سنين، يقول عن نفسه رضي الله عنه:"توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم"[(١١)]، وفي رواية البخاري قال ابن عباس رضي الله عنهما:"جمعت المحكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت:وما المحكم؟ قال:المفَصَّل"[(١٢)]، والمحكم هو حزب المفصل، كما بَيَّنَ ذلك سعيد بن جبير رحمه الله حين قال:"إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم"[(١٣)]، وقد كان ذلك ديدنه صلى الله عليه وسلم تلقين الأطفال كتاب الله تعالى في سن الصبا، فقد روى ابن أبي شيبة عن عمرو بن شعيب قال:"كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علمه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية سبعاً: ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم

يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾"(١٤)، ولعل تركيزه على الحفظ في سن الصبا لما يتميز به الطفل من قوة حافظة، وصفاء ذهن، وتمكن الحفظ من القلب والعقل.

ولم يقف صلى الله عليه وسلم عند تلقينهم آيات من كتاب الله تعالى، بل كان يدعو الله لهم أن يزدادوا من كتاب الله علماً ومعرفة، فكان يمسح على رأس ابن عباس رضي الله عنهما، ويدعو له بالحكمة(١٥)، وكان من دعائه لابن عباس رضي الله عنهما :"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"(١٦)، ودعا الله أن يزيده فهماً وعلماً(١٧)، فكان دعاؤه ﷺ لهذا الطفل خير ما يُدَّخَرُ له في مستقبله ليكون ترجمان القرآن، وأعلم الناس بالتأويل؛ وببركة دعائه ﷺ له بدأت تظهر آثار دعائه صلى الله عليه وسلم على ابن عباس رضي الله عنهما، وما أن توفي رسول الله ﷺ، وانقطع الوحي أقبل ابن عباس رضي الله عنهما على أصحاب رسول الله ﷺ يأخذ الحديث عنهم، يقول رضي الله عنه:"وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه.."(١٨)، واستمر على ذلك حتى بلغ منزلة من العلم فاق بها من هو أكبر منه سناً، وقد لاحظ ذلك عمر رضي الله عنه، فكان يحبه ويدنيه ويدخله مجالس كبار الصحابة، فانتقدوا عمر رضي الله عنه فعله ذلك لمن هو في عمر أبنائهم، فأراد عمر رضي الله عنه أن يظهر لهم سعة علمه، فسألهم ذات مرة ثم أقبل عليه ليجيب بما لم يجيبوا عليه، فقال لهم:"ما منعكم أن تأتوا بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستوِ شؤون رأسه"، ثم يقول:"لقد عَلِمْتَ علماً ما عَلِمْنَاه"(١٩)، وقد لاحظ سعة علمه بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فقال ابن عمر رضي الله عنهما:"إن حبر هذه الأمة ابن عباس"(٢٠).

أما الشباب فقد سلكوا مسلكاً يختلف اختلافاً يسيراً عن سابقه، حيث تلقوا جرعات إيمانية قبل حفظ كتاب الله تعالى، فتعلموا من العلم ما يجعلهم أهلاً لحمل كتاب الله تعالى، والعلم به وفهمه والدعوة إليه، فلما حفظوا القرآن الكريم ازدادوا إيماناً ويقيناً، يقول جندب بن عبد الله رضي الله عنه:"كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حَزَاوَّرَة (٢١)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً"(٢٢). وقد كان منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليم الشباب، وتزويدهم بجرعات من الإيمان؛ يتناسب مع تفكير الشباب ونشوقهم، ذلك أن تلك القوة والفتوة إن لم تُلجم بلجام العلم والإيمان والانقياد لتعاليم الشريعة كان في أخذهم للقرآن خلل، إذ أن أخذ القرآن قبل تربية النفس وترويضها

بالإيمان واليقين باب من أبواب الفتنة، وسبيل لتأويل النص على ما يحمله العقل من هوى، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالخوارج وكثير من الفرق الضالة يحفظون القرآن، لكنهم جعلوه دليلاً على أهوائهم، وأمثال ذلك كثير في المفسرين؛ لاسيما من سبق الهوى أو المذهب المنحرف إلى قلبه، فأخضع كتاب الله ليلائم مذهبه وهواه، فتأمل ذلك المنهج القويم الذي يتناسب مع كل مرحلة عمرية.

وأمَّا **كبار السن** وهم أغلب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – لكون كثير منهم دخل الإسلام كبير السن، وإنما كان دخول صغار السن إلى الإسلام كان تابعاً لدخول آبائهم فيه، ولما كان كبار السن هم المؤهلين لإبلاغ الرسالة، وتعليم الناس كتاب ربهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلمهم من معاني القرآن ما خفي عليهم، وهم أيضاً لا يتجاوزون ما خفي معناه، أو أشكل فهمه، فيبادرون بالسؤال والاستفسار.

وأمام هذه الفئات من المتلقين لكتاب الله تعالى، والاختلاف الكبير بينها في التفكير والقدرة على الاستيعاب؛ فقد اختلفت طريقته صلى الله عليه وسلم في تعليمهم كتاب الله تعالى، فكان يجمع للكبار بين تعليم التلاوة وبيان معاني الآيات، بل إنهم لا يكتفون بتلقي الآيات دون فهمها، واكتفى بتلقين صغار السن تلاوة القرآن وحفظه.

لقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم القرآن غضاً طرياً من فِيِّ النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يفزعون لكتابته في الصحف، ثم يبادرون إلى حفظ تلك الآيات، ومن ثَمَّ إلى فَهْمِ معانيها إن لم تتضح لهم، وتلك سمة بارزة تميز بها ذلك الجيل الذي تلقى القرآن على المعلم الأول محمد ﷺ، وبتلك الطريقة المثلى أخذوا القرآن وحفظوه وفهموه، فلم يفصل بين حفظه وفهمه فاصل، بل كانا متلازمين، فيشرعون بالحفظ ثم لا يجاوزون ما لم يفهموا معناه حتى يفهموه، فتسابق إلى قلوبهم وعقولهم استظهار القرآن، وفهم معانيه، فتمكن الإيمان من قلوبهم، واستقر القرآن في عقولهم؛ فعمرها وأنارها، فصاغ ذلك الأسلوب الرفيع في التعليم حياتهم، فأنتج العمل بكتاب الله تعالى، وعند تأمل تلك الطريقة المثلى التي نهجها النبي ﷺ في تعليم أصحابه ﷺ كتاب الله تعالى، يلمح فيها التأصيل والتأسيس والترسيخ لكتاب الله تعالى، ليس ترسيخاً لحفظه بل هو رسوخ في فهمه والعمل به، ولأهمية تلك الطريقة في التمكين والترسيخ

فقد اعتنى بها الصحابة رضوان الله عليهم في تعليمهم كتاب الله تعالى، وتناقلوا تلك الطريقة المحمدية في تعليم كتاب الله تعالى، وطبقوها على طلابهم، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم من العشر التي أنزلت بعدها حتى نتعلم ما فيها، قيل لشريك: من العلم؟ قال: نعم"(٢٣)، وفي رواية أخرى لشريك قال:"كنا نتعلم من رسول الله ﷺ عشر آيات لا نتعلم العشر التي بعدهن حتى نعلم ما أُنزل في هذا العشر من العلم"(٢٤)، وبذلك المنهج نقل أصحاب النبي ﷺ القرآن إلى التابعين، فقد روى وكيع عن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية:"تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن رسول الله ﷺ، كان يأخذه خمساً خمساً"(٢٥)، وروى أبو العالية مثله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :"تعلموا القرآن خمساً خمساً فإن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على النبي ﷺ، خمساً خمساً"(٢٦)، وكان أبو عبد الرحمن السلمي ممن تلقى القرآن على صحابة رسول الله ﷺ، على غرار تلك الطريقة التي تلقوه بها على النبي ﷺ، فأخبر عن أسلوب تلقيه القرآن فقال:"حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ، عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا:فعلمنا العلم والعمل"(٢٧)، وبتأمل هذا الأثر الذي يرويه قارئ من كبار قراء التابعين الذين تلقوا القرآن على كبار قراء الصحابة كأُبيّ بن كعب ﷺ، وعثمان بن عفان ﷺ، وغيرهم نلمس ملامح طريقة الصحابة رضوان الله عليهم في أخذهم القرآن الكريم من النبي ﷺ، وهو بيان لطريقة المدرسة المحمدية في تعليم كتاب الله تعالى، وهي طبعاً الطريقة المثلى في تعلم كتاب الله تعالى فهي جامعة لعدة جوانب لا غنى لقارئ القرآن عنها، وأهمها جانبان:

الأول: تصحيح التلاوة، وحفظ ألفاظ القرآن الكريم: ويتمثل ذلك في تلقيهم آيات يسيرة لا تتجاوز عشر آيات؛ وذلك أمكن لحفظهم، وأثبت لقلوبهم، وتلك حكمة بينها القرآن ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[سورة الفرقان:٣٢].

الثاني: معرفة ما تتضمنه الآية من علم وأحكام، وما يترتب على ذلك من عمل واستقامة على أمر الله، وهما أمران متلازمان، لا تحصل ثمرة قراءة القرآن إلا بهما:

أولهما: معرفة ما في الآية من علم:

فلا عمل بدون علم، ولا علم بدون تلاوة صحيحة سالمة من اللحن الصارف للآية عن مراد الله منها، والعلم يسبق العمل ويتقدمه، ومتى سبق العمل العلم الصحيح فسدت العبادة ورُدت على صاحبها، وفي الحديث قوله ﷺ :"من أحدث في أمرنا هذه ما ليس منه فهو رد"(٢٨)، وقد بَوَّب بذلك البخاري فقال:"باب العلم قبل القول والعمل"(٢٩)، مستنبطاً ذلك من قول الله تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾[سورة محمد: ١٩]، فلا عمل بدون علم، وأصل الشريعة كتاب الله تعالى، فلا بد أن يَلْحَقَ العمل العلم ويتبعه، ليكونا متلازمين متتابعين، لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ثانياً: العمل بما تضمنته الآية:

ويشير إلى عملهم بكتاب الله تعالى قوله:"حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل"، وذلك يؤكد أن فهم الآيات وما فيها من المعاني والدروس سيفضي حتماً إلى الامتثال والعمل، فينشأ عنه الإيمان الراسخ، وتلك هي النتيجة الطبيعية لمن قرأ القرآن حق القراءة، وتلاه حق التلاوة، فليس القرآن مجرد أداء خالٍ من العمل؛ ولكنه تعاليم يجب الأخذ بها، ومعاني يجب اعتقادها، ولقد أثنى الله في كتابه على أولئك الذين جمعوا في أخذهم للقرآن بين العلم والعمل فقال سبحانه مثنياً عليهم: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . . . ﴾[سورة البقرة: ١٢١]، وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى أقوال المفسرين في معنى هذه الآية "فقال بعضهم: يَتَّبعونه حق اتِّباعه"، وهو مروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى أبو مالك قول ابن عباس رضي الله عنهما:"يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه"، وكذلك روى أبو العالية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:"والذي نفسي بيده إن حق تلاوته: أن يُحل حلاله ويُحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله"(٣٠)، وروي عن عطاء وأبي رزين مثل ذلك، وروى ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن مجاهد أنه قال:"عملاً به"، قال قيس بن سعد:"يتبعونه حق اتباعه، ألم تر إلى قوله: ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ [الشمس:٢] يعنى الشمس إذا تبعها القمر"(٣١)، وروى قيس ابن سعد عن مجاهد أنه قال:"يعملون به حق عمله"، وروى هشيم عن داود عن عكرمة(٣٢)، وعطاء وأبي رزين وإبراهيم النخعي مثله، وروى سفيان بن وكيع عن أبيه عن المبارك عن

الحسن قال:"يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويَكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه"، وحدَّث بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال:"أحِلُّوا حلاله وحَرِّموا حرامه واعملوا بما فيه، ذُكر لنا أن ابن مسعود كان يقول:"إن حق تلاوته: أن يُحل حلاله ويحرِّم حرامه، وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل، ولا يحرفه عن مواضعه"[٣٣]، وبمعناه روي عن قتادة، وقد رجح الإمام ابن جرير الطبري بعد أن ذكر رأياً آخر فقال:"وقال آخرون ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ يقرؤونه حق قراءته"، ثم علق على ما ذكره من روايات فقال:"قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حق اتباعه، من قول القائل ما زلت أتلو أثره، إذا تَبِعَ أثره، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله"[٣٤].

ثم ذكر ابن جرير معنى لطيفاً من الآية فقال:"وأما قوله:﴿حق تلاوته﴾ فمبالغة في صفة اتِّباعهم الكتاب ولزومهم العمل به، كما يقال"إن فلاناً لعالم حقُّ عالم"، .." [٣٥]، قال ابن عطية:"﴿يتلونه﴾ معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال الأمر والنهي، وقيل ﴿يتلونه﴾ يقرؤونه حق قراءته، وهذا أيضاً يتضمن الاتباع والامتثال"، ثم ذكر قول القاضي أبي محمد:" أنَّ المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذاك الهدى المقتدون بأنواره"[٣٦]، قال الإمام القرطبي:"روى نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿يتلونه حق تلاوته﴾، قال:(يتبعونه حق اتباعه) [٣٧]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها، وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ"[٣٨]، وقال الحسن:"هم الذين يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقيل يقرؤونه حق قراءته"، قال الإمام القرطبي معلقاً على هذه القول: "وهذا فيه بُعْد، إلا أن يكون المعنى يرتلون ألفاظه، ويفهمون معانيه، فإنَّ بفهم المعاني يكون الاتباع لمن وُفِّق"[٣٩]، ولعل تلك الأقوال تقوي ما ورد في حديث ضعيف الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من استظهر القرآن وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفَّع فيه – أو قال – وشَفَّع في عشرة من أهل بيته"[٤٠]، وفي رواية أخرى :"من قرأ القرآن فحفظه واستظهره ،..."[٤١]، قال الشعبي رحمه الله تعالى في تفسير قول

الله عز وجل﴿ فنبذوه وراء ظهورهم﴾ قال:"أما إنه كان بين أيديهم، ولكن نبذوا العمل به"(٤٢)، وقد أبدع الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند تعليقه على الآية، فقد استنبط من الآية دلالتها على تحسين التلاوة والقراءة، مع الحث على اتباع مدلولها ومعناها، فقال رحمه الله تعالى معلقاً على معنى الآية:"وهذه المتابعة هي التلاوة التي أثني الله على أهلها في قوله تعالى:﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ﴾[سورة فاطر:٢٩]، وفي قوله:﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾[سورة البقرة:١٢١]، والمعنى يتبعون كتاب الله حق اتباعه، وقال تعالى:﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾[سورة العنكبوت:٤٥]، وقال:﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن ﴾[سورة النمل:٩٢]، فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة، المطلقة وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع، ... وسمي تالي القرآن تالياً لأنه يتبع بعض الحروف بعضاً، لا يخرجها جملة واحدة بل يُتْبِعُ بعضها بعضاً مرتبة؛ كلما انقضى حرف أو كلمة أتبعه بحرف آخر وكلمة أخرى، وهذه التلاوة وسيلة وطريقة، والمقصود التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه، تصديقاً بخبره، وائتماراً بأمره، وانتهاءً عن نهيه، وائتماماً به حيثما قادك انقدت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه، وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقاً" (٤٣).

وقد فهم السلف من ذلك أن المعول على العمل بالقرآن واتباعه، فكانوا يُرَبُّونَ تلاميذهم على ذلك، فعن عامر بن مطر قال:"رأى حذيفة رضي الله عنه من الناس كثرة فقال: يا عامر بن مطر كيف أنت إذا أخذ الناس طريقاً وأخذ القرآن طريقاً؛ مع أيهما تكون؟ قلت:أكون مع القرآن أموت معه وأحيا معه، قال: فأنت إذاً أنت، فأنت إذاً أنت"(٤٤)، وأتى رجلٌ أبا الدرداء بابنه، فقال: "يا أبا الدرداء إن ابني هذا قد جمع القرآن، فقال:اللهم غفراً، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع"(٤٥)، وورد في حديث ضعيف عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:"اقرأ القرآن ما نهاك، فإن لم ينهك فلست تقرؤه، أو قال: فلا تقرأه"(٤٦)، وعن الحسن قال:"إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرؤه"(٤٧).

ومعرفة ما في الآية من علم على قسمين:

القسم الأول: فهم معنى الآية إجمالاً:

والمراد به فهم ظاهر عبارة الآية، وأغلب القرآن ظاهر المعنى، واضح الدلالة، وهو ما يسمى بالمحكم، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾ [سورة آل عمران:٧]، وهذا النوع من المعرفة سهل المنال، يفهمه غالب من يقرأ القرآن(٤٨).

القسم الثاني : فهم دقائق معنى الآية:

وهذا النوع من الفهم يختص به العلماء، فيشمل معرفة معناها ومدلولاتها، ومعرفة ما يحتف بها من علوم أخرى، كمعرفة أسباب الترول، والناسخ والمنسوخ، ويشمل ذلك معرفة من نزلت فيه الآيات بعينه، إلى غير ذلك من العلوم التي تتضمنها الآيات من علوم القرآن المختلفة، كالخاص والعام، والمطلق والمقيد،؛ لا سيما وأن القرآن لا زال يترل ويزداد، ثم ينسخ الله منها ما يشاء ويثبت.

ومن خلال تتبع ما ورد من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لكتاب الله تعالى حاولت أن أُبَيِّنَ كيفية معرفة الصحابة رضوان الله عليهم معاني ما يتلقونه من النبي صلى الله عليه وسلم من آيات، ولابد قبل ذلك أن نقرر أمراً مهماً وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كاملاً، وليس ذلك قصوراً منه صلى الله عليه وسلم، حاشاه عليه الصلاة والسلام؛ ولكن لأن غالب معاني آيات القرآن الكريم واضحة الدلالة، كيف لا يكون واضح المعاني وقد عايشوا نزوله، وشاهدوا الوقائع والحوادث التي نزل فيها ولأجلها، فعرفوا أسباب الترول، وهم مع ذلك عرب فصحاء، وقد نزل القرآن بلغتهم، فلم يشكل عليهم فَهْمُ شيء من تراكيبه وعباراته، ودلالات ألفاظه، وبديع بلاغته، وعليه فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعلم أصحابه من القرآن ما لم يفهموه، أو أشكل عليهم فَهْمُ ظاهر الآية، وهي مواضع قليلة.

ولما كان الصحابة رضوان الله عليه متبايني الأحوال في ملازمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، اختلف أخذهم لمعاني القرآن الكريم منه عليه الصلاة والسلام، فكانوا يجتمعون إليه حيناً، وحيناً لا يبقى بجواره سوى شخص واحد، وبناءً عليه فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفسر القرآن حيناً حال اجتماع الصحابة، وحيناً فرادى، أما في حال اجتماعهم: فقد فسر قوله

تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[سورة الأنفال:٦٠] وهو على المنبر أمام جموع المصلين، وأما حال تفرقهم: فإنه صلى الله عليه وسلم فسر بعض الآيات لبعض الصحابة دون بعض، وليس ذلك تقصيراً منه صلى الله عليه وسلم؛ ولكن ربما أشكل على بعض الصحابة معنى آية دون البعض، ومرجع ذلك إلى مشاهدة وقائع نزول الآية، أو أنه لم يفهم معنى كلمة في الآية، أو فهم ظاهر الآية دون مضمونها، وبتأمل وتتبع تفسيره صلى الله عليه وسلم للقرآن أستطيع أن أجمل أسلوبه صلى الله وسلم في تفسير القرآن في الأساليب التالية:

أولاً: بيان النبي صلى الله عليه وسلم معنى الآية ابتداءً، كتفسيره صلى الله عليه وسلم لمعنى القوة في قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . . .﴾[سورة الأنفال:٦٠]، "ألا إن القوة الرمي"، كررها ثلاثاً على المنبر(٤٩).

ثانياً: سؤال الصحابة عن معنى الآية: فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عما لم يفهموا معناه؛ لاسيما ما أشكل عليهم ظاهر عبارته، كاستشكالهم معنى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعضه ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[سورة لقمان:١٣] (٥٠).

ثالثاً: معرفة معنى الآية من خلال وقوفهم على وقائع وأحوال وأسباب نزولها:

كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[سورة المائدة:٣]، "إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت: أنزلت يوم عرفة، وأنا بعرفة"(٥١)، ونزول آية التيمم بسبب ضياع قلادة عائشة رضي الله عنها(٥٢).

المبحث الثاني

منهج من بعدهم في حفظ القرآن:

استمر التابعون على طريقة الصحابة رضوان الله عليهم في تَعَلُّمِ وتعليم القرآن، حيث لا زالوا يتلقونه مفسراً، ويلقنونه عشراً عشراً أو خمساً خمساً، ويفسرونه لمتلقيه، أويطلب المتلقي تفسيره ممن يأخذ عنهم القرآن، يقول مجاهد بن جبر:"عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت وكيف كانت"(٥٣)، وفي قوله هذا إشارة إلى أنه أتم حفظ القرآن، قبل أنه يعرضه على ابن عباس رضي الله عنهما، ثم عرضه ثلاث عرضات لمعرفة تفسيره.

وبعد زمن التابعين وإلى زماننا هذا تغيرت تلك الطريقة، فأصبح الناشئة يبدؤن بحفظ القرآن الكريم، وذلك ظاهر في سير العلماء، فإذا أتمَّ حفظ القرآن واستظهره، شرع في تلقي العلوم الأخرى، فيثني بالمصدر الثاني من مصادر الشريعة، فيشرع بدراسة السنة النبوية، روى الأعمش عن إبراهيم، أن الحارث قال:"تعلمت القرآن في ثلاث سنين، والوحي في سنتين، أو قال الوحي في ثلاث سنين، والقرآن في سنتين"(٥٤)، ولعل تلك الطريقة هي الأسلوب المناسب للمبتدئين بحفظ كتاب الله تعالى من صغار السن، ذلك أنه من اليسير على الطفل حفظ اللفظ وإتقانه فقط، دون فهم معانية، ولذلك كان الأسلوب الأمثل للطفل هو أن يشتغل بحفظ القرآن وإتقانه، وما أن يتمكن القرآن من قلبه حفظاً وإتقاناً حتى يكون قد بلغ سناً مناسبة لفهم كتاب الله تعالى، فحفظ القرآن يوسع مداركه، وينمي قدرته على الحفظ، ويهيء ذهنه لتلقي معاني كتاب الله تعالى.

الفصل الثاني
أثر القرآن على حفظته
المبحث الأول
أثر القرآن في تقويم السلوك

من الملاحظ أن حفظة القرآن الكريم أكثر الناس تميزاً في سلوكهم وآدابهم وأخلاقهم، كيف لا يكونون كذلك وهم ينهلون تلك الآداب والأخلاق من كتاب الله تعالى، وسرعان ما تظهر تلك الأخلاق على تصرفاتهم، فالقرآن مجمع الفضائل، ومبعث الإيمان والهدى والرشاد، ومنه تنفر الشياطين، الذين هم سبب كل ضلال وفساد يلحق المرء في أخلاقه وآدابه وتعامله، بل في أمر دينه ودنياه، وبذلك حصل لحملة القرآن العلم الباعث على الامتثال لأوامر الله تعالى، وقد كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس امتثالاً لتعاليم القرآن، فظهرت عليه آداب القرآن وسماته، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم أجابت بقولها: "كان خلقه القرآن"[٥٥]، وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال: "أَدَبُ القرآن"[٥٦]، وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، قال: وأحسبه قال: وبحزنه إذا الناس يفرحون"[٥٧]، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً وقد استُدرِجَت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يحدَّ فيمن يحد[٥٨]، ولا يجهل فيمن يجهل، وفي جوفه كلام الله عز وجل"[٥٩]، وقال أيضاً: "من قرأ القرآن فقد اضطربت النبوة بين جنبيه، فلا ينبغي أن يلعب مع من يلعب، ولا يرفث مع من يرفث، ولا يتبطل مع من يتبطل، ولا يجهل مع من يجهل"[٦٠]، وجِمَاعُ ذلك أن يكون المسلم متخلقاً بخلق القرآن، متأدباً بآدابه، مقتفياً أثره، ومتتبعاً لخطاه، لا يحيد عنها، ولا يبتغي غيره هادياً ومرشداً، وبامتثال تعاليم القرآن يكون المسلم لبنة من لبنات هذا الجيل القرآني، الذي سيكون له الدور الفاعل في الارتقاء بالمجتمع، ومن ثم تصحيح مساره، وتقويم سلوكه وآدابه بما يتمشى مع كتاب الله تعالى.

المبحث الثاني

أثر القرآن في البناء العلمي:

إن المتأمل للمسيرة العلمية لأعلام الإسلام وعلمائه، والمتتبع للنشأة العلمية يبدو له جلياً وبوضوح أنهم أَصَّلوا ذلك العلم، وأسسوا ذلك البناء، ومكنوا بناءهم العلمي بحفظ كتاب الله، ذلك أنه أصل العلوم الشرعية وغيرها، وإليه تعود في استدلالها، وعليه المعول في تأصيلها، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:"من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين"(٦١)، ورواه شعبة عن أبي إسحاق عنه قال:"فليثوِّروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين"(٦٢)، وبنظرة فاحصة للقدرة العلمية لأعلام القراء يظهر جلياً التفوق العلمي في عدد من العلوم المختلفة، ومن أشهر قراء الصحابة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فهو من أجود الصحابة قراءة، وقد تلقى من فيِّ النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة(٦٣)، وشهد له الصحابة بذلك، وقد أثبت ذلك لنفسه فقال رضي الله عنه:"ولقد علم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أني أعلمهم بكتاب الله"(٦٤)، ويقول مؤكداً ذلك:"ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت"(٦٥)، وشهد له بذلك أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه فقال:"ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ترك أحداً أعلم بكتاب الله من هذا القائم"(٦٦)، وفيه قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :"من أحب أن يقرأ القرآن غضاً – وفي رواية رطباً – كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد"(٦٧)، ووصفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله:"كنيف مليء علماً"(٦٨)، ولما قدم عليٌّ رضي الله عنه الكوفة أتاه نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فسألهم عنه حتى رأوا أنه يمتحنهم فقال:"وأنا أقول فيه مثل الذي قالوا؛ وأفضل، قرأ القرآن وأحل حلاله وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة"(٦٩)، ولما سئل عليٌّ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:"عَلِمَ الكتاب والسنة"(٧٠)، ورُوِيَ أن أبا موسى الأشعري سئل عن شيء في الفرائض فقال:"لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم"(٧١)، فهو من أفقه الصحابة وأعلمهم بالتفسير، وقد انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ستة هم: علي وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد وأبي الدرداء وأُبيّ، وانتهى علم هؤلاء إلى اثنين هما علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما(٧٢)،

قال الشعبي:"ما دخل الكوفة أحدٌ من الصحابة أنفع علماً ولا أفقه صاحباً من عبد الله"(٧٣)، والخلاصة أن عبد الله بن مسعود رضي الله من كبار قراء الصحابة رضوان الله عليهم، وقد بلغ علمه وفقهه مبلغاً عظيماً، وذلك دليل على أن أصل ذلك البناء العلمي الرفيع والتأصيل المتين هو حفظ كتاب الله تعالى وفَهْمُ معانيه.

وزيد بن ثابت رضي الله عنه من أكابر قراء الصحابة وأعلمهم، قال عنه الذهبي: "شيخ القراء، والفرضيين، مفتي المدينة أبو سعيد، .. وكان عمر بن الخطاب يستخلفه على المدينة"(٧٤).

ومن أبرز قراء التابعين سعيد بن جبير رحمه الله تعالى، من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما، "وكان من كبار العلماء"، برع في والتفسير والحديث، "كان ابن عباس رضي الله عنه إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير"(٧٥)، قال ابن مهدي عن سفيان عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال:"لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحدٌ إلا وهو محتاج إلى علمه"، وقال أشعث بن إسحاق: كان يقال:"سعيد بن جبير جهبذ العلماء"(٧٦)، إلى غير ذلك من الروايات والأخبار الدالة على سعة علمه، وتلك سمة نشأة أهل القرآن.

ومن أبزر القراء السبعة الإمام أبو عمرو بن العلاء المازني وصفه الذهبي فقال:"شيخ القراء والعربية"(٧٧)، "برز في الحروف وفي النحو وتصدر للإفادة مدة، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم"(٧٨)، قال أبو عبيدة :"كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها"(٧٩)، روى أبو العيناء عن الأصمعي: قال لي أبو عمرو بن العلاء:"لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كُتبت ما قدر الأعمش على حملها، ولو أن ليس لي أن أَقرأ إلا بما قُرئ لقرأت حرف كذا وذكر حروفاً"(٨٠).

ومن أعلام القراءة والعربية أيضاً الإمام علي بن حمزة الكسائي، قال الذهبي:"شيخ القراءة والعربية"(٨١)، أخذ النحو عن الخليل، وسافر في بادية الحجاز يطلب العربية من أهلها، ودوَّنَ ما تعلمه منها فكتب بخمس عشرة قنينة حبر، قال الشافعي:"من أراد أن يتبحر في النحو

فهو عيال على الكسائي"[٨٢]، قال ابن الأنباري:"اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وأوحدهم في علم القرآن، كانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو وهم يضبطون عنه حتى الوقوف"[٨٣]، بل كانوا ينقطون مصاحفهم على قراءته[٨٤].

فهؤلاء نماذج يسيرة أفرزتها التنشئة القرآنية للقراء، وكيف كان لهذه التنشئة بالغ الأثر على الثروة العلمية التي اجتمعت فيهم.

الفصل الثاني

دور حفظة القرآن في بناء المجتمع.

المبحث الأول

حفظة القرآن هم رسل النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الناس:

لما كان القرآن هو مصدر الهداية للبشرية، إذ هو كلام الله وشريعته، وقد ضمن من جمال الأسلوب ما يثير الإعجاب، ويسبي الألباب، ويأخذ العقول، ويستميل القلوب، كان منهجه صلى الله عليه وسلم أن يرسل القراء ليُعلموا الناس كتاب الله تعالى، فيهدون به الكافر، ويعلمون به المسلم، وعندما دخل الإسلام إلى المدينة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم القراء ليعلموا الناس القرآن، ويؤموهم في الصلاة، فبعث مصعباً رضي الله عنه إلى المدينة فكان يصلي بهم، ولما أراد أُسيد بن حضير وسعد بن معاذ منعه من تعليم المسلمين دينهم، ودعوة غيرهم للإسلام قرأ عليهما القرآن فأسلما[٨٥]، وكان يبعث عدداً من القراء إلى المكان الواحد، فقد أرسل القراء إلى قبيلتي رعل وذكوان في نجد ليعلموهم القرآن، فلما كانوا عند بئر معونه بين أرض بني عامر وبني سليم عدا عليهم عامر بن الطفيل العامري، وقتل عدداً كبيراً منهم غدراً[٨٦]، وكان قبل الهجرة يرسل أصحابه إلى القرى والأمصار بما معهم من القرآن، واستمر الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك المنهج النبوي، فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الكوفة:"إنني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء

من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بدر فاسمعوا لهما واقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله عن نفسي"(٨٧)، فلم يكن الهدف من إرسال القراء إلى الأمصار للإقراء فقط بل كان أشمل من ذلك، فهم العلماء والقضاة والأمراء، فنفعهم أعمُّ وأشمل، وأثرهم أوسع.

المبحث الثاني

الدور الذي تقوم به حلقات تحفظ القرآن الكريم في بناء المجتمع وإصلاحه

تقوم دور وحلقات تحفيظ القرآن الكريم بدور بارز في تربية النشء على كتاب الله تعالى، فقد أخرجت للمجتمع جيلاً من حملة القرآن الكريم، بلغوا الذروة في حفظه وإتقانه وتجويده، ولم تزل الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم سائرة على خطى راسخة، لتحقيق هدفها المنشود لبناء جيل قرآني متمسك بكتاب الله، قائماً به علماً وعملاً.

ومع كثرة الجمعيات الخيرية التي تهدف إلى تعليم القرآن الكريم وحفظه إلا أنه لا زال هناك قصوراً في الأخذ بالمنهج النبوي السديد في الجمع بين حفظ القرآن وفهم معانيه، لاسيما مع الطلاب الذين يطيقون الفهم، ويستوعبون الأمر والنهي، وتلك هي الخطوة الأولى للعمل به؛ وتطبيق تعاليمه.

وعليه .. فإني أقترح على الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم أخذ هذا الجانب بعين الاعتبار، والجمع بين حفظ القرآن الكريم، وشرح معاني آياته، ودلالات عباراته، بأسلوب يناسب أعمار الطلاب، وكلما تقدم عمر الدارس لكتاب الله تعالى شرحت له آيات القرآن الكريم بأسلوب أرقى من سابقه، وبذلك يعاد تفسير آيات القرآن الكريم على سمع الطالب طيلة مدة دراسته لكتاب الله تعالى، وبذلك يصل طلاب حلقات تحفيظ القرآن الكريم إلى إتقان كتاب الله تعالى وفهم معانيه، وتتبع هدايته، والتخلق بأخلاقه، فعنوان حافظ القرآن أدبه وأخلاقه، وبذلك يوزن حفظة القرآن الكريم.

أبرز النتائج والتوصيات:

إن من أهم وأبرز التوصيات التي أخلص إليها في نهاية هذا البحث ما يلي:

١. تتبع خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعليم كتاب الله تعالى، ومراعاة مراحل العمر المختلفة.

٢. أقترح وضع خطة لحفظ القرآن تقوم على مراعاة مراحل عمر الطالب، فالصغير الذي لم يتجاوز العاشرة يُكتفى بتحفيظه القرآن الكريم فقط، فإذا تجاوز سن العاشرة شرحت له بعض الآيات شرحاً مجملاً، فإذا تجاوز سن الخامسة عشرة فسرت له الآيات دون التعمق فيها، ثم إذا تجاوز العشرين سنة كان ملزماً باستظهار معنى الآيات والغوص في دلالاتها ومضمونها.

٣. قيام الجمعيات الخيرية بدورها الكبير في تعليم كتاب الله تعالى.

٤. الحرص على وضع منهجية جديدة يراعى فيها الجمع بين حفظ القرآن وفهم معانيه.

٥. إلزام الجمعيات الخيرية لمدرسيها شرح آيات كتاب الله تعالى للطلاب.

٦. عقد دورات مكثفة في تفسير القرآن الكريم لمدرسي القرآن الكريم.

٧. أن يكون الهدف الأسمى لمدرسي القرآن الحفظ والفهم معا، ثم التطبيق والاتباع.

٨. النتائج المثلى لحفظ القرآن الكريم لا تحصل إلا باجتماع الأمرين الحفظ والفهم.

٩. إذا كان الهدف الذي ننشده هو إنشاء جيل يعمل بكتاب الله تعالى، فلن يكون إلا بحفظ وفهم القرآن الكريم.

الخـــــاتمة:

وأختم هذا البحث المتواضع الذي يرمي إلى مشاريع ضخمة، ويتلمس مـــن خـــلال الطريقة النبوية في تعليم القرآن الكريم إلى إحداث تحول كبير على مستوى الجيل، بـــل علـــى مستوى الأمة الإسلامية، وشتان بين من يعيش على تعاليم القرآن، وينشأ بين آياته، ويترعـــرع على تعاليمه، وبين من يتخبط لا إلى منهج، ولا يأوي إلى ركن هذا الدين الـــركين، وأصـــله القويم، وعموده المتين، وقد دعا الله عباده إلى التمسك به والثبات عليه فقـــال: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾[سورة الأنعـــام: ١٥٣] ، فالتربية على كتاب الله تعالى تأصيل للمبادئ، وتمكين للقرآن في القلوب، وثبات على دين الله تعالى، وحماية للجيل من مضلات الفتن، وأسباب الضلال، ودعاة الهوى والغي والفجور، وكفى بالجيل الأول أنموذجاً لتلك التربية القويمة، ودليلاً على قدرتها على صياغة جيل قـــرآني يـــسير على خطى الوحيين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش والتعليقات

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، بـرقم: (٧٤٦) ص: ٣٠٠-٣٠١.

(٢) اللفت هي اللَّيُّ، ولفت الشيء وفتله إذا لواه، والمراد أنه يقرأ القرآن من غير روية ولا تبصر. اللسان، مادة لفت: ٣٠١/١٢

(٣) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ٢١١

(٤) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ٢١٣

(٥) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ٢١٣

(٦) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، رقم الحديث: ٧٥٦٢ .

(٧) سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢٦٦٤) ص: ٦٠٠، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الشيخ الألباني – رحمه الله–، سنن ابن ماجة، باب تعظيم حديث النبي صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه، رقم: ١٢. صححه الشيخ الألباني – رحمه الله–.

(٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: ٦١/٤.

(٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٤/٤ .

(١٠) الجامع لشعب الإيمان، البيهقي: ٥٠٨/٤، وأورد أبو عبيد هذا الأثر عن مروان بن الحكم أنه سمع كعب الأحبار يقول: "إن في التوراة أن الفتى إذا تعلم القرآن وهو حديث السن، وحرص عليه، وعمل به وتابعه خلطه الله بلحمه ودمه...". فضائل القرآن، لأبي عبيد: ٤٧

(١١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن: ٩٦٣

(١٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن: ٩٦٣

(١٣) انظر سنن القراء، د.عبد العزيز القاري: ٥٠، منقول من فتح الباري، الطبعة السلفية: ٨٣/٩.

(١٤) المصنف لابن أبي شيبة: ١٠//٥٥٦، وعمل اليوم والليلة لابن السني: ١٦٠

(١٥) المسند: ٣٥٤/١. وفي الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بالحكمة مرتين. سنن الترمذي (٣٨٢٣)، ص: ٨٦٢ .

(١٦) السير: ٣٣٦/٣، البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم الحديث: ١٤٣، ص: ٣٥،

وليس فيه "وعلمه التأويل".

(١٧) السير:٣/٣٣٨

(١٨) المستدرك:٣/٥٣٨، السير: ٣/٣٤٣

(١٩) السير:٣/٣٤٥

(٢٠) السير: ٣/٣٣٩

(٢١) قال في اللسان:"الحَزَوَّرُ الغلام إذا اشتد وقوي وخدم". لسان العرب، مادة: حزر، ٣/١٥٠-١٥١.

(٢٢) صححه الألباني. سنن ابن ماجه، باب الإيمان، حديث رقم:٦١، صفحة:٢٥.

(٢٣) الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي:٤/٥١٠ ، وأخرجه الحاكم بنفس الإسناد وصححه(١/٥٥٧)، وذكره محمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" (١٢٧)، وعبد الرزاق في مصنفه(٣/٣٨٠)، والإمام أحمد في مسنده(١٠/٤٦٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره(١/٣٦). انظر التخريج في جامع الشعب.

(٢٤) الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي:٤/٥١١، السير:١/٤٩٠

(٢٥) مصنف ابن أبي شيبة:٦/١١٨، الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي:٤/٥١٢

(٢٦) الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي:٤/٥١٣ .

(٢٧) مصنف ابن أبي شيبة:٦/١١٨، رقم الأثر(٢٩٩٢٠).

(٢٨) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود، حديث رقم:٢٦٩٧، ص:٤٧٧-٤٧٨.

(٢٩) صحيح البخاري، كتاب العلم: ٢١

(٣٠) جامع البيان: للطبري: ١/٥٦٦-٥٦٧

(٣١) جامع البيان، الطبري:١/٥٦٨

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي:٢/٦٦

(٣٣) محاسن التأويل، القاسمي:١/٣٥٧

(٣٤) جامع البيان، الطبري:١/٥٦٩

(٣٥) جامع البيان، الطبري:١/٥٦٩

(٣٦) المحرر الوجيز:١/٢٠٤-٢٠٥

(٣٧) في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكر الخطيب أبو بكر أحمد إلا أن معناه صحيح.

(٣٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:١/١٥٦.

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/٦٦

(٤٠) وهو ضعيف عند البيهقي. انظر الجامع في شعب الإيمان ، للبيهقي: ٤/٥٠٤ .

(٤١) الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي: ٤/٥٠٥، وأخرجه الترمذي في باب فضائل القرآن برقم(٢٩٠٥) ، وقد علق الترمذي عليه فقال:"هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس له إسناد صحيح، وحفص بن سليمان أبو عمر بزاز كوفي يضعف في الحديث".، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢١٦) بلفظ قريب منه، وقد ضعفه الألباني. انظر المشكاة(٢١٤١)، والتعليق الرغيب(٢/٢١٠).

(٤٢) كتاب فضال القرآن، لأبي عبيد: ١٣١، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة: ١٩٤.

(٤٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية: ٤٤ .

(٤٤) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١٣٢

(٤٥) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١٣٣

(٤٦) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١٣٣

(٤٧) كتبا فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١٣٤

(٤٨) التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي: ١/٣٦-٣٧.

(٤٩) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم: ١٩١٧.

(٥٠) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:{ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله}، حديث رقم: ٣٤٢ .

(٥١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى{اليوم أكملت لكم دينكم}، رقم الحديث:(٤٦٠٦).

(٥٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله{فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً}، حديث(٤٦٠٨).

(٥٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤/٤٥٠.

(٥٤) صحيح مسلم، المقدمة، ص: ٢٠.

(٥٥) سبق تخريجه. وانظر كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١١١

(٥٦) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١١٢

(٥٧) كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام: ١١٣.

(٥٨) أي يغضب.
(٥٩) كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد:١١٣
(٦٠) كتاب فضائل القرآن، لأبي عبيد: ١١٤
(٦١) الجامع لشعب الإيمان، البيهقي:٥١٣/٤
(٦٢) الجامع لشعب الإيمان، البيهقي:٥١٤/٤
(٦٣) السير:٤٦٥/١
(٦٤) السير:٤٧٣/١
(٦٥) السير:٤٧٢/١
(٦٦) السير:٤٧١/١
(٦٧) السير:٤٧٥/١
(٦٨) السير:٤٩١/١
(٦٩) السير:٤٩٢/١
(٧٠) السير:٤٩٢/١
(٧١) البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث ابنة ابن مع ابنة، رقم الحديث:٦٧٣٦، السير:٤٩٣/١
(٧٢) السير:٤٩٤/١
(٧٣) السير:٤٩٤/١
(٧٤) السير: ٤٢٦/٢–٤٢٧
(٧٥) السير: ٤٢٦/٢–٤٢٧
(٧٦) السير: ٤٢٦/٢–٤٢٧
(٧٧) السير: ٤٠٧/٦
(٧٨) السير: ٤٠٧/٦
(٧٩) السير: ٤٠٨/٦
(٨٠) السير: ٤٠٨/٦
(٨١) السير: ١٣١/٩
(٨٢) السير: ١٣٢/٩
(٨٣) السير: ١٣٢/٩

(٨٤) السير: ٩/١٣٢

(٨٥) صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي:١٠٥-١٠٧.

(٨٦) شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام:٧٦-٧٧.

(٨٧) السير:١/٤٨٥-٤٨٦ ، وأخرجه الحاكم:٣/٣٨٨ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فهرس المصادر والمراجع

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الناشر دار الحديث- الأزهر- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- التفسير والمفسرون، تأليف د.محمد حسين الذهبي، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي. تحقيق د.عبد العلي عبد الحميد حامد، طبع بواسطة الدار السلفية- بومباي – الهند، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م
- الدر المنثور، السيوطي. طبعة دارك الكتب العلمية- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- سنن الترمذي. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى. اعتنى بالإخراج أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان.
- سنن ابن ماجة، طبع بواسطة مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي. مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة التاسعة، عام ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
- شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام، تأليف الدكتور محمود حسن أبو ناجي، الناشر:مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- صحيح البخاري، در ابن حزم – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
- صحيح مسلم، طبع بواسطة دار ابن خزيمة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- صحيح السيرة النبوية، تأليف إبراهيم العلي، دار النفائس – عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة. ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين، طبع بواسطة دارك الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ -١٩٩٥م

- كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ –١٩٩٥م.
- لسان العرب، لابن منظور ت:٧١١هـ، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.
- مدارك التتريل وحقائق التأويل، النسفي. تحقيق مروان محمد الشعَّار، دار النفائس–بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، للإمام شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت:٦٦٥هـ)، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر– بيروت، ط بدون ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
- المستدرك، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة– بيروت – لبنان، الطبعة بدون تاريخ.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، طبع بواسطة دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- مصنف ابن أبي شيبة، ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين، طبع بواسطة دارك الكتب العلمية – بيروت– لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ –١٩٩٥م

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، طبعة بدون، عام ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.